اللغة والهوية في اسرائيل

تحرير: د. محمد أمارة

٢٥٨ صفحة

اصدار: المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية (مدار)

يجمع الدكتور محمد أمارة، المحاضر في جامعة بار ايلان وكلية بيت بيرل، في كتابه هذا سبع دراسات مختلفة تتناول موضوع اللغة في اسرائيل وتأثيرها على تشكيل الهوية الاسرائيلية، اليهودية بالأساس، وهي في مجملها تحاول الاجابة على السؤال المهم المتعلق بالهوية والمجتمع الاسرائيليين: هل نجحت الصهيونية/ المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة في خلق أمة جديدة في القرن العشرين؟ هل ما كان يسمى «بوتقة الصهر» لصناعة «العبراني الجديد» حقق طموح ورغبات مؤسسي هذا المجتمع وهذه الدولة؟

يطرح المحرر هذه الأسئلة وغيرها في توطئته غير المعنونة، التي تتصدر الكتاب دون أن يجيب عليها ليترك لنا الغوص في اشكاليات هذا الموضوع ومعضلات الهوية الاسرائيلية، وفي مقدمة الكتاب يعرف اللغة، طبيعتها ووظائفها وموقعها في تركيبة الهويات القومية والعرقية والاجتماعية، ثم يحاول اسقاط هذه التعريفات على الحالة الاسرائيلية الفريدة ومكانة اللغة العبرية في بلورة المجتمع الاسرائيلي أو معضلات بلورته.

الدكتور عبد الرحمن مرعي المحاضر في كلية بيت بيرل يكتب تحت عنوان: احياء اللغة العبرية ودوره في بلورة الكيان اليهودي الحديث، عن احياء اللغة العبرية باعتباره «ظاهرة لغوية فريدة من نوعها في التاريخ البشري»، فيستعرض هذه اللغة منذ نشأتها وحتى مشروع احيائها ، ليس بصفتها لغة ميتة بل عصرنتها وتحديثها، واعطاؤها وظائف تدعم المشروع الصهيوني في بناء الأمة الجديدة في دولة عبرية جديدة.

الدراسة الثانية للبروفسور اليعازر بن رفائيل من جامعة تل أبيب وفيها يدرس موقع لغة الايديش وهي لغة اليهود في دول أوروبا الشرقية، ومنافستها للغة العبرية قبل قيام اسرائيل ولكن فيما بعد أخذت هذه اللغة بالاضمحلال أمام مشروع تثبيت اللغة العبرية وفرض سيطرتها على المجتمع الاسرائيلي.

مثلما أن لغة الايديش تشكل عقبة أمام سيطرة العبرية، (في السنوات الأخيرة تقوم محاولات جادة لنشرها واعادة الاعتبار لها)، فان اللغة العربية أيضا تشكل عقبة وهي ليس فقط لغة العرب الفلسطينيين بل لغة اليهود الشرقيين أيضا ممن هاجروا من الأقطار العربية، ويتناول موضوع لغة الفلسطينيين في اسرائيل، الدكتور محمد أمارة في دراسته بعنوان : النسيج اللغوي الاجتماعي للفلسطينيين في اسرائيل حيث يخلص الى القول «رغم أهمية اللغة العبرية، خاصة لمنافع ادائية، الا أن اللغة العربية تلعب دورا مركزيا في مفهوم صقل وترسيخ الهوية القومية لدى الفلسطينيين في اسرائيل، وذلك بخلاف ما خططه صانعو القرار في الدولة».

يشير المحرر في مقدمته أنه اضافة الى التحديات التي تواجه سيطرة اللغة العبرية وبينها اللغة العربية والايديش، فان لغة أخرى تشكل تحديا لهذه السيطرة، كما للغات أخرى في العالم، وهي اللغة الانكليزية وهذا ما يتناوله البروفسور بيرنارد سولسكي من جامعة بار ايلان في دراسته بعنوان : «دور الانكليزية في الهوية الاسرائيلية».

مما لا شك فيه ان المهاجرين الروس يشكلون ليس فقط ظاهرة ديمغرافية وثقافية اثنية في المجتمع الاسرائيلي بل ظاهرة لغوية أيضا، ولا تخلو نظرتهم الى المجتمع الاسرائيلي من توجهات استعلائية تجعلهم يتمسكون بلغة وثقافة الأم الغنية والعظيمة (الروسية) أمام العبرية الحديثة، صغيرة السن، وقد كان هذا الموضوع في صلب الدراسة الميدانية التي أعدتها د. سمدار دونيتسا سميدث من كلية الكيبوتسات للتربية بعنوان

«السلوك اللغوي، الهوية الاثنية والتوجهات بين المهاجرين الروس في اسرائيل».

لغة مجموعة أخرى من المهاجرين اليهود الذين لا يشكلون، لقلة عددهم، تحديا للغة العبرية ولكن العبرية هي التي أصبحت تسيطر عليهم، هي اللغة الأمهرية، لغة المهاجرين الأثيوبيين. هذا الموضوع درسه ميدانيا ميري كريسي من كلية أشكلون (عسقلان) ود. محمد أمارة.

والدراسة الأخيرة في هذا الكتاب تغلق دائرة اللغة والهوية في اسرائيل وتحديات المشهد اللغوي، بما هو الحال مع العمال الأجانب الذين يصل عددهم الى أكثر من ثلاثمائة ألف عامل من عشرات الدول، وتستخلص أييلت هشاحر ونيرة هراتي واضاعتا الدراسة، «أن وجود العمال الأجانب، الذين لا يرتبطون عاطفيا أو أيديولوجيا بقضية المحافظة على العبرية «كلغة قومية»، يحول الذخيرة اللغوية في اسرائيل.. اذ يتكون شكل نموذجي مبسط يستخدم في التواصل مع الناس الذين ليس لديهم استعداد لفهم الكلام المعياري».

الدكتور محمد امارة، يلقي أضواء كاشفة في كتابه هذا على جانب مهم ومركزي في تشكيلة المجتمع الاسرائيلي وهويته، والدراسات التي جمعها ليست نظرية وحسب بل هي ميدانية أيضا تبرز بالبحث والمعطيات العديدة اشكاليات لغوية تؤثر على سيرورة المشروع القومي الصهيوني، سلبا وايجابا. قراءة هذا الكتاب من شأنها أن تمنح المهتم بالمجتمع الاسرائيلي أحد أهم المفاتيح لفهم تركيبته وهويته.

س.ن

أعيان البلاد: عائلة الحسيني، سيرة سياسية

تأليف: د.ايلان بابيه

اصدار: مؤسسة بياليك– القدس

٤٤٤ صفحة

صدر الكتاب مؤخرا باللغة العبرية، وهو أول كتاب يصدر بالعبرية للكاتب حيث أن دور النشر الاسرائيلية امتنعت عن نشر مؤلفاته بسبب مواقفه المناهضة للصهيونية، ويعتبر ايلان بابيه أحد طلائعيي المؤرخين الجدد وباحثا له موقعه الأكاديمي المرموق في العالم والعالم العربي ويثير في المجتمع الاسرائيلي جدلا واسعا بسبب مواقفه التقدمية وأبحاثه التي تفضح زيف الرواية الصهيونية.

يضم الكتاب اثني عشر فصلا تتناول سيرة هذه العائلة الفلسطينية منذ القرن السابع عشر، وأبناء العائلة المعروفين في تاريخ الشعب الفلسطيني ممن كانت لهم أدوار مهمة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ليس في مدينة القدس وحسب بل في فلسطين والعالم العربي أيضا، ومن خلال سرد مسيرة هذه العائلة يتوقف المؤلف عند أحداث وتطورات عديدة في فلسطين والمنطقة تنسف في مجملها الرواية الصهيونية التي تدعي أن فلسطين كانت أرضا خالية ، (أرض بلا شعب) قبل وصول الحركة الصهيونية.

في لقاء مع الكاتب ايلان بابيه تحدث عن كتابه قائلا: «لقد استمر العمل على هذا الكتاب حوالي عشر سنوات، والدوافع التي جعلته يختار سيرة هذه العائلة هي، أولا: رغبته في استعراض تاريخ البلاد من زاوية يجهلها القارئ العبري وهي زاوية الرؤية الفلسطينية. فان معظم الاسرائيليين نشأوا على الرواية الاسرائيلية التي وصفت هذه البلاد بانها كانت قاحلة الى أن جاء الصهاينة في العام ١٨٨٢، والعودة الى تاريخ هذه العائلة منذ القرن السابع عشر تؤكد حقيقة أنه حيث توجد أرستقراطية هناك حياة ثقافية وحضارية، ولهذه العائلة موقع مهم ليس فقط في الحياة السياسية الفلسطينية بل الثقافية أيضا.

ثانيا: رغبة الكاتب في السير على طريق معلمه البروفسور ألبير حوراني الذي كتب كثيرا عن «سياسة الأعيان» وهو محاولة للنظر الى القيادة الفلسطينية قبل الحرب العالمية الأولى كقيادة حكيمة عرفت كيف توجه مجتمعها في الصراع الذي كان قائما حينذاك بين الامبراطورية العثمانية والدول الاستعمارية، ومع ذلك فان الكتاب لا يتجاهل الطابع الاستغلالي والاقطاعي للأعيان.

ثالثا: رغبة الكاتب في التأكيد على أن سياسة الأعيان لم تكن قادرة على مواجهة الصهيونية، وأن انشغالها بصراعات داخلية وخلافات مع عائلات أخرى لم يمكنها من رؤية الأخطار الحقيقية للتغلغل الصهيوني، قليلون من أبناء العائلة أدركوا هذا الخطر مثل عبد القادر الحسيني.

س.ن

طهارة السلاح: القيم، الأسطورة والواقع ١٩٣٦-١٩٥٦

المؤلف: د. دان ياهف

اصدار: تموز للنشر. تل أبيب

٣٨٠ صفحة

«طهارة السلاح» هي احدى الأساطير التي روجت لها المؤسسة الاسرائيلية منذ العام ١٩٤٨ للتغطية على المجازر التي ارتكبتها ضد الشعب الفلسطيني في عام النكبة والأعوام التي تلتها حيث واصلت الى اليوم ارتكاب الاعتداءات الدموية، وقد راجت هذه الفرية في العالم من خلال اخفاء المعلومات الحقيقية عما حدث والرقابة على المنشورات والترويج لقصص وروايات ومسرحيات وأفلام تظهر «انسانية» الجندي الاسرائيلي، وحتى حينما كشفت مجازر مثل دير ياسين التي ارتكبتها قوات الأيتسل والليحي سارعت الحكومة الاسرائيلية الى استنكارها واعتبارها مخالفة قام بها تنظيم معارض، وفي جميع الأحيان كانت المجازر التي يكشف عنها تبرر بأنها مجرد «مخالفات للأوامر» قام بها أفراد يقدمون للمحاكمة (محاكمة الضابط شدمي مرتكب مجزرة كفر قاسم العام ١٩٥٦ والحكم عليه بدفع غرامة: قرش واحد).

هذا الكتاب للباحث دان ياهف يفضح هذه الأسطورة/ الفرية مسميا الظواهر بأسمائها وهي الارهاب اليهودي والصهيوني والاسرائيلي، وفي مقدمة كتابه ينفي استعمال هذا الاصطلاح الذي يحتوي على تناقض سافر بين الطهارة التي هي الاستقامة والأخلاق وبين السلاح الذي هو أداة قتل ودمار، ويتساءل في مقدمته: هل حقا تم الحفاظ على «طهارة السلاح»؟ وفي الكتاب لا يتناول المؤلف الموضوع في أثناء الحروب بين قوات عسكرية بل خارج هذه الحروب، قبلها وبعدها، في أعمال يعرفها بوضوح أنها أعمال ارهابية، ويعود المؤلف الى بداية الارهاب اليهودي في فلسطين منذ العام ١٨٩٠ حيث قتل شيخ عربي مغربي في يسود همعلا وفي ١٩٠٧ أقيمت منظمة «بار غيورا» التي كان شعارها «بالدم والنار سقطت يهودا، بالدم والنار تبعث من جديد»، ومنذ ذلك الوقت يبدأ مسلسل طويل من الأعمال الارهابية التي قامت بها منظمات ارهابية صهيونية ضد العرب في الجليل والساحل والنقب والمدن الفلسطينية، يافا وحيفا والقدس، ولعل ما قام به الضابط الانكليزي اوراد وينغيت الذي انضم الى القوات الصهيونية وأقام منظمة «كتائب الليل» الارهابية ما يؤكد النزعة الدموية التي درب عليها قواته ونفذها في جرائم ومجازر عديدة مثل مجزرة دبورية في العام ١٩٣٨ ومجزرتي حطين ولوبيا وغيرها، ويوصف وينغيت في الكتاب اعتمادا على مصادر عديدة بوحشيته وأما المؤسسة الاسرائيلية فانها تمجده كبطل وقد أقيم على اسمه أحد أهم المعاهد الرياضية في نتانيا كذلك أطلق اسمه على العديد من الشوارع في مدن اسرائيلية.

بالرغم من أن الكتاب يتناول بالتفصيل الأعمال الارهابية التي ارتكبتها القوات الصهيونية واليهودية قبل قيام اسرائيل والاسرائيلية فيما بعد، بين الاعوام ١٩٣٦ الى ١٩٥٦ الا أن المؤلف يذكر باختصار ما ارتكب منذ العام ١٨٨٣ وحتى العام ١٩٩٨ أي ما يزيد عن مائة عام من الارهاب الموثق في ملفات ومصادر اسرائيلية اعتمد عليها المؤلف في دراسته القيمة والمهمة.

س.ن

«الحروب لا تحدث من تلقاء ذاتها»

المؤلف: د. موطي غولاني

اصدار: مودان للنشر

٢٧٤ صفحة

يشير د. موطي غولاني، رئيس قسم تاريخ اسرائيل في جامعة حيفا، في مقدمة كتابه الى أن هذا الكتاب هو «عبارة عن بحث في ظهور القوة وتطورها عند كل اسرائيلي منذ الهجرة اليهودية الأولى في نهاية القرن التاسع عشر. حيث بذلت قوة كبيرة وواسعة من أجل تثبيت وجود

المجتمع الاسرائيلي ولإثبات ان له جذوراً في فلسطين. ويتوصل الى نتيجة واضحة أن القوة تصيب بالضرر ليس فقط الحياة الرسمية بل علاقات الناس ببعضهم البعض. فالقوة تمنع من الانسان نفسه أن يفحص طريقة ومسيرة حياته وتجره الى طريق الشر والسلبي، ويشير أيضا الى أن مسيرة كتابته هي مرآة لجزء من حياته الشخصية، فهو ينطلق من الخاص والشخصي الى العام».

الكتاب عبارة عن دراسة مستفيضة لكيفية ظهور القوة في المجتمع الاسرائيلي سواء العسكرية أو المدنية من الفترة السابقة لقيام اسرائيل الى انتفاضة الاقصى الأخيرة. ولكن ما يميز هذا الكتاب أنه نقاش بقلم مؤرخ بكونه انساناً يعيش في فترة حرجة ومؤلمة، في بلاد ممزقة بحيث لا يمكنه أن يتجرد عما يحدث، ويكون بعيداً حاملاً فقط منظار الموضوعية لأنه مؤرخ. ولا ينبع هذا الجانب من أنه لا يستطيع أن يفصل بين ما هو مؤرخ وما هو اسرائيلي بل لأنه يريد أن يقدم لقرائه طريقة أخرى من الكتابة التاريخية التي تتميز بتداخلات من خبرته الحياتية والشخصية ورؤيته لما يجري على الساحة الاسرائيلية من تخبطات كثيرة. وهذا ليس بالضرورة مسارا لنوافق معه على طروحاته وانما لمناقشته في كل نقطة ومسألة يطرحها من خلال بحثه هذا.

فالجزء الأول هو عبارة عن أحداث شخصية. والجزء الثاني هو لقاء مع الشخصية اليهودية المحلية المبدئية والاسطورية.

والجزء الثالث بحث علمي في الوصول الى طريق القوة الاسرائيلية الى حين اقامة دولة اسرائيل. والجزء الرابع كشف القوة في العام ١٩٤٨ واستخدامها في العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦ وفي نجاح هذه القوة في حرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧ وبداية الشعور بالألم جراء القوة في حرب اكتوبر العام ١٩٧٣، أما الجزء الخامس من الكتاب فهو بحث في كيفية الحفاظ على القوة بواسطة اللجوء الى استثمار احداث تاريخية وتنفيذ هذا الاستثمار في المسيرة الى بولندا حيث المحرقة (الهولوكوست) التي تنظمها وزارة التربية الاسرائيلية والوكالة اليهودية في كل عام لالاف من الاسرائيليين واليهود من وخارج اسرائيل.

ويحاول غولاني ان ينتج الماضي من أجل المستقبل، وكيفية تجنيد هذا الماضي من أجل الواقع الحالي والاستفادة منه قدر الامكان لما سيجلبه المستقبل للشعب الاسرائيلي. فالمؤرخ ليس فقط حاملاً لرسالة الحفاظ على القيم الاخلاقية بل إنه ايضاً ناقض لما هو موضوعي. فبحسب رؤيته فإن المؤرخ ليس فقط كاتباً لما قد حدث انما هو جاء من بيئة معينة بهدف خدمة هذه البيئة لتحقيق احتياجاتها الآنية. فالمؤرخ يحقق في مسألة الذاكرة، بمعنى أن المؤرخ هو الزمن الحالي الناقل لما جرى في ازمان غابرة بواسطة استخدام ادوات معاصرة ومفاهيم لمصلحة بحثه أو شعبه.

وبموجب رؤيته يجب علينا أن ننظر الى الماضي كي نكون مسؤولين عما حدث وعن ما سيحدث في المستقبل.

وفي معرض تطرقه الى مسألة نشوء وتطور القوة في المجتمع الاسرائيلي فإنه يؤكد أن التربية العسكرية في المجتمع الاسرائيلي كانت موجهة نحو بناء هذه القوة، أي تربية اسبارطية على الحياة العسكرية ونقلها فيما بعد الى الميادين المدنية بكافة أشكالها.

بين التربية على القوة وبين التربية على اللجوء في أعقاب الكارثة التي حلت باليهود في اوروبا على أيدي النازية، تطورت لدى اليهود فكرة «الضحية» التي تبنتها الطغمة السياسية الى يومنا هذا.

بمعنى آخر، تطوير المجتمع الاسرائيلي لمصطلح «ضحية».

فهو نفسه يشير الى أنه ابن الجيل الثاني للكارثة، اي انه يؤرخ لحياته اعتماداً على تاريخ الكارثة التي كان اليهود في اوروبا ضحية لها. اي أن الكارثة قد جلبت التعامل مع الضحية.

ويتوصل غولاني الى نتيجة مفادها أن المزج بين اليهودي الاسبارطي وصاحب القوة والضحية جراء الكارثة انتج «اليهودي الضحية». وهنا يوجد تطوير لعلم الضحية victimology.

ويشير الى ان حلم اليهودي، كل يهودي، ان يكون ابنه متعلماً ومثقفاً، وليس جنرالاً في الجيش، ولكن الجيل الثاني الذي نشأ في المستوطنات (البيشوف) قبل

العام ١٩٤٨ اخذ يتعرف الى فكرة القوة اكثر واكثر في اجواء القرار السياسي الصهيوني بإنشاء دولة لليهود في فلسطين. وتحول مجتمع المستوطنات اليهودي قبل العام ١٩٤٨ الى مجتمع النخبة اليهودية في فلسطين، وهذا المجتمع قام بتقديم الخدمات المتنوعة التي احتاج اليها اليهود عامة في فلسطين. وكان التوجه المركزي في اختيار يهود لجيش المشاة من قبل هذا المجتمع، أما اليوم فالاتجاه هو لاختيار طيارين. وهذا يشير الى النظرة الفوقية نحو تحقيق قوة في المجتمع.

وحاولت اسرائيل مأسسة أحداث الكارثة من خلال تنظيم زيارات الشباب اليهودي الى معسكر الابادة في اوشفتس في بولندا. والهدف من وراء هذه المأسسة هو لتذكير الشباب اليهودي المحارب في المستقبل أنكم جئتم من هنا كبقية باقية للشعب الاسرائيلي بهدف الحفاظ على استمرارية وجوده وبقائه.

وانتشرت في عامي ١٩٤٧- ١٩٤٨ فكرة أن القوة هي اداة لحل قضايا ومشاكل مستعصية على اليهود. والقول السائد كان ان دولة اسرائيل نشأت جراء الكارثة التي حلت باليهود. وتمركز السعي الى تأكيد القوة الاسرائيلية في كتب التدريس سواء أكانت كتب التاريخ أم الادب وغيره.

ويوجهنا غولاني الى كيفية تدريس التاريخ في المدارس العبرية، فالكتب تبدأ بمعالجة تاريخ اليهود من خراب الى خراب ومن حرب الى حرب، والشخصيات التاريخية تقوم باستعراض حياتها من خلال ربطها بحدث حربي، وهو يتساءل: هل هذا التوجه يشير الى شيء ما؟ فالبحث التاريخي لم يأت ليحدثنا عما جرى؟ انما لماذا جرى كذا وكذا؟ فهناك احداث مهمة صقلت حياة المجتمع الاسرائيلي وهذه كانت نتيجة للقوة التي استعملها الجيش الاسرائيلي والاجهزة العسكرية المختلفة والمستوى السياسي ايضاً.

وفي معرض حديثه عن قمة القوة الاسرائيلية فإنه يشير الى قول احد قياديي الجيش الاسرائيلي، باراليف، بعد حرب ١٩٦٧ انها حرب حدثت بسرعة وبعدد قليل من اللاجئين وبترتيب جيد .وهذا التوجه في تعليل القوة انها نظامية ومرتبة للغاية بحيث لا تصيب الطرف الاخر- المعادي - الا بالقليل من الضرر.

وفهم اليهود بسرعة أن ثورة ١٩٣٦- ١٩٣٩ في فلسطين بين الفلسطينيين والانكليز واليهود هي مقدمة لصراع قومي. وهذه الفترة كانت جيدة ومؤاتية لتكوين وبلورة القوة اليهودية في فلسطين، فالضربات التي سددتها القوات البريطانية ضد المجاهدين والثوار الفلسطينيين هي نفسها ساهمت في بناء القوة اليهودية، ففي هذه الثورة التي قمعتها القوات البريطانية فقد الفلسطينيون قدرتهم على تحقيق اقامة دولة لهم في العام ١٩٤٨، فالقوة كانت الى جانب اليهود الذين لجأوا الى استخدام اسلوب ضبط النفس، فالانكليز يقومون بتحقيق ما يريدونه وبالتالي حصل اليهود على مجموعة من الهبات والهدايا، فسيطروا على قطاعات اقتصادية واسعة وادارية واقاموا ميناء تل ابيب كي لا يحتاجوا الى خدمات الفلسطينيين وانشأوا جيش الهغناه. بمعنى اخر فإن «الدولة على الطريق» قد تم انشاؤها في اواخر الثلاثينات ومطلع الاربعينات من القرن الماضي. اما الفترة الواقعة خلال الحرب العالمية الثانية فكانت عبارة عن قصة نجاح كبيرة بالنسبة للييشوف اليهودي في فلسطين، فالازدهار الاقتصادي خلال الحرب كانت فوائده جمة للمجتمع اليهودي اكثر منه للفلسطيني. ولما ازفت ساعة الاعلان عن انتهاء الانتداب البريطاني كان اليهود يتمتعون بقوة كبيرة تفوق قوة الفلسطينيين الذين فقدوها في اعقاب قمع ثورتهم وبالتالي شرعت القوات اليهودية بالسيطرة على مراكز القوات البريطانية. ومن الواضح ان اية مستوطنة يهودية لم تسقط بيد العرب، وان سقط بعضها الا أن القوات اليهودية تمكنت من اعادتها بسرعة كبيرة. وبناء عليه فإن اليهود استعملوا القوة بواسطة ما امتلكوه من قوة وخطط ومواقع، ولهذا فإن تسديد الضربات تجاه الفلسطينيين كان ناجحا. وكان الخوف من قوات الدول العربية، ولكن هذه القوات لم تقم بتقديم العون العسكري للفلسطينيين الا بعد خروج الانكليز وحينها كانت القوات اليهودية قد حققت انتصاراتها على الفلسطينيين. وادرك اليهود ان ما لم يحققه الانكليز من تفاهم بين الفلسطينيين واليهود حققته القوة العسكرية اليهودية.

وما قامت به اسرائيل في حرب ١٩٦٧

انها هاجمت الدول العربية المحيطة بها وهي لم تكن بحاجة الى مثل هذا الهجوم، ولكن لمجرد وجود القوة، وبلغت القوة الاسرائيلية في هذه الحرب اوجها. انما ما جرى في حرب تشرين الاول العام ١٩٧٣ كان نهاية اسطورة القوة، وفتح مدخل السلام بين اسرائيل ومصر والاردن والفلسطينيين.

ويتنقل الكاتب بين ثقافة الامن وبين مكانة الامن في الحياة العامة في اسرائيل. وهو يشير الى انه لا يوجد خيار سياسي لاسرائيل، فالامن هو شيء مركزي في حياة المجتمع الاسرائيلي.

ولا يفوته الاشارة الى لجوء المستوى السياسي في اسرائيل الى استعمال الترهيب الامني واستثمار الخوف لإبعاد انتباه الناس عن قضايا الحياة اليومية وهي القضايا التي تشغل حياة المواطن الاسرائيلي وتثقل كاهله كالبطالة والرشاوى والاحوال المالية في البنوك. وتلجأ الحكومات الاسرائيلية الى استعمال الترهيب المسبق لحدوث حدث كما فعلت في حرب الخليج العام ١٩٩١ والعدوان على العراق في هذا العام، اي تحضير الشارع العام في اسرائيل لحالة حرب مستديمة لا تنقطع، وحاجة اسرائيل الى الحفاظ على قوة وحيز من الاراضي للحفاظ على امنها. والملاحظ فهم وادراك الباحث غولاني الى تبني الترهيب والتخويف الدائمين بشأن الابادة والكارثة التي لحقت باليهود في اوروبا على يد الوحش النازي، ما يضمن الامن الاسرائيلي، وان اي حل سياسي لن يتحقق الا بفعل بقاء القوة الاسرائيلية هي المتفوقة. وبناء عليه فلا يوجد اي متسع للجدل والنقاش حول الامن والجيش الاسرائيلي.فالجيش الاسرائيلي هو فوق الجميع وهو البقرة المقدسة التي يجب عدم المس بها، وكل من يمسها فإنه يمس مقدسات وثوابت.لهذا لا نجد جدالاً او نقاشاً حول القوة الاسرائيلية التي يستخدمها الجيش ضد الفلسطينيين في الضفة والقطاع، فما يقوم به هذا الجيش هو واجب مقدس للحفاظ على الاسرائيلي المعرض للإبادة لكونه ضحية. وهذا يشير الى تغاضي المجتمع الاسرائيلي عن مسألة استخدام القوة تجاه الفلسطينيين،حتى لو بشكل مكثف، فالاصوات التي ترتفع في اعقاب استعمال القوة المكثفة ضد الفلسطينيين غير مسموعة على الاطلاق ان وجدت. وتلجأ السلطة السياسية والعسكرية في اسرائيل الى كم الافواه بشأن تفوه له علاقة بالامن الاسرائيلي والجيش.

وخلاصة القول، جاء هذا الكتاب ليؤكد ان القوة الاسرائيلية بلورت شكل ومضمون المجتمع الاسرائيلي الذي يعيش حالة اسبارطية، اي انه مجتمع «متعسكر».ولا يفوته ان يميل الى توجيه لوم ونوع من تحميل المسؤولية لما جرى من احداث تتعلق بوضع الفلسطينيين.وينهي كتابه بتوجيه دعوة الى الفلسطينيين لبناء ذاكرة تاريخية لهم، تاركاً الباب مفتوحاً امامهم لتحقيق ذلك.

ويقترح غولاني توزيع المسؤولية فيما جرى على الجانبين الاسرائيلي والفلسطيني مدركا ان الباب ما زال مفتوحاً لبناء ذاكرة جماعية لدي كل شعب من الشعبين جراء ما اختبروه من الام ومآسٍ عبر السنين.

ج.م

الجواسيس

قضايا تجسس في دولة اسرائيل

تأليف: يوسي ملمان وايتان هابر

اصدار: يديعوت أحرونوت – سفريات حيمد

٤١٤ صفحة

«مئات المواطنين الاسرائيليين، من اليهود والعرب، حوكموا وفرضت عليهم عقوبات خفيفة وثقيلة بتهمة التجسس ضد دولة اسرائيل، وفي هذا الكتاب قصص عن عشرين عملية قام بها جهاز المخابرات لكشف الجواسيس والخون الذين عملوا ضد اسرائيل»، هكذا يكتب المؤلفان في مقدمتهما لكتاب «الجواسيس»الذي يستعرض قضايا تجسس مختلفة أثارت في حينها أصداء واسعة، ليس فقط على المستوى الاسرائيلي

بل العالمي أيضا، وبالرغم من أن الكتاب لا يهدف الى استعراض تاريخ وعمل جهاز المخابرات العام (الشاباك) ـــكما يشير المؤلفانـــ الا أنهما يفتتحانه باستعراض موجز لتاريخ هذا الجهاز الذي يعتبر الأكثر سرية في اسرائيل.

اقيم جهاز المخابرات (الشاباك) بأمر من رئيس الحكومة، وزير الأمن الأول دافيد بن غوريون، في شباط ١٩٤٩ كأحد أذرعة الجيش ، وفي العام ١٩٥٠ فصل «الشاباك» عن الجيش وأعلن عنه جزءاً من وزارة الأمن ثم نقل الى مكتب رئيس الحكومة، وقسم الى قيادات مصغرة هي: القيادة الأولى التي تولت مسؤولية «الأمن الوقائي» والكشف عن نشاطات «تآمرية» في أوساط اليمين المتطرف والتجسس السياسي وجمع المعلومات عن الخصوم السياسيين لحزب عمال اسرائيل (مباي) الحزب الحاكم، مثل الحزب الشيوعي الاسرائيلي وحزب الحيروت بقيادة مناحيم بيغن (وهما الحزبان اللذان أخرجهما بن غوريون من الاجماع القومي، حيث كان يعلن أنه على استعداد أن يشكل حكومة مع أي حزب باستثناء حيروت وماكي- الحزب الشيوعي) ولم يسلم من عين الشاباك المراقبة حزب المبام والحركات السياسية المعارضة، ويقول المؤلفان في كتابهما: «عمليا كل الحياة السياسية كانت تحت رقابة الشاباك» ، وكان ايسر هارئيل، رئيس الشاباك يشترك بين الحين والآخر في جلسات سكرتارية حزب العمل، وقد استمر هذا الوضع عدة سنوات.

القيادة الثانية ، وكانت مهمتها الكشف عن محاولات التجسس المضاد، وقد قسمت الى دوائر منها: التجسس السوفييتي، وأخرى لتجسس الدول الشيوعية الأخرى، ودائرة للدول الغربية.

القيادة الثالثة: اهتمت بالشؤون العربية، وضمت دائرة لمراقبة العرب في اسرائيل في أيام الحكم العسكري، ودائرة أخرى لمتابعة التيارات السياسية في صفوف الأقلية العربية، ودائرة لاحباط محاولات تجسسية من الدول العربية.

كذلك أقيمت دائرة لشؤون المهاجرين الجدد وقد كانت سرية جدا ولم يطلق عليها اسم أو رقم وكانت مهمتها التحقيق مع مهاجرين قدموا من الدول الشيوعية للحصول منهم على معلومات عن هذه الدول وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي، وكانت هذه الدائرة تخضع مباشرة لأمرة رئيس الشاباك وتعد التقارير وتقدمها الى جهاز المخابرات الاميركية (السي. آي. ايه) وكان لهذا النشاط تأثير كبير على بلورة مكانة اسرائيل الاستراتيجية في السياسة الاميركية وتعميق التعاون المخابراتي بين الدولتين - كما يؤكد المؤلفان.

القيادة الخامسة: كانت مسؤولة عن الأمن في الصناعات العسكرية وجمع المعلومات العلمية والتكنولوجية والصناعية وقد كانت هذه القيادة سرية جدا وعملت بالتعاون مع «مكتب العلاقات العلمية» في وزارة الأمن والتي كشف عنها لأول مرة بعد اعتقال الجاسوس جوناثان بولارد.

الى جانب هذه القيادات أقيمت وحدة العمليات، وتخضع مباشرة لامرة نائب رئيس الشاباك. هذه الدائرة قدمت الخدمات التقنية لجميع الدوائر مثل: الكاميرات الخفية وأجهزة التصنت والحبر السري وغيرها، وأقيمت أيضا وحدت التحقيقات في الستينيات.

قراءة حكايات التجسس والجواسيس العشرين في هذا الكتاب تلقي الضوء على أساليب عمل أجهزة المخابرات الاسرائيلية خاصة وأن البعض منهم كانوا يقومون بأدوار مزدوجة، وتبدأ هذه الحكايات بقصة الجاسوس غابرييل زيسمان الذي ألقي القبض عليه العام ١٩٥٥ واتهم بالتجسس لصالح المخابرات المصرية وسجن مدة خمس سنوات، وفي الفصل الثاني يستعرض المؤلفان قصة الجاسوس افري العاد الذي اتهم بالتجسس لصالح المصريين رغم أن أجهزة المخابرات لم تقدم للمحاكم أدلة كافية لادانته، ولكن أهمية هذه القصة وهذا الجاسوس هي أنه اتهم بفضح شبكة تجسس اسرائيلية في مصر، حيث ألقي القبض على أعضاء الشبكة وأعدم اثنان منهما وسجن الآخرون وعرفت هذه القضية بـ «الفضيحة» . في الفصل الثالث نقرأ قصة الجاسوس زئيف أفني الذي اتهم بالتجسس لصالح الاتحاد السوفييتي، والفصول التالية عن الذين اتهموا وأدينوا بتهم التجسس ضد اسرائيل لصالح دول مختلفة في المنطقة والعالم ومنها قصة جاك بيطون الجاسوس المزدوج (مصر واسرائيل) وليفي ليفي لصالح بولونيا، ويسرائيل بار لصالح الاتحاد السوفييتي، وأودي أديب لصالح المخابرات السورية والذي اعتقل العام ١٩٧٢ مع أفراد شبكة عربية يهودية، كذلك يضم الكتاب قصص جواسيس عملوا ضد اسرائيل وأثار اكتشافهم أصداء عالمية أشهرهم مردخاي فعنونو الذي كشف أسرارا تخص الفرن النووي الاسرائيلي في ديمونه وهو ما زال يقبع في السجن، وناحوم منبر الذي اتهم بصفقات اسلحة لايران والضابط شمعون ليفنسون «الجاسوس في مكتب رئيس الحكومة»، والعربي الوحيد الذي يستعرض المؤلفان قصته هو عبد الرحيم قرمان الذي اتهم بالتجسس لصالح المخابرات المصرية.

يذكر أن يوسي ملمان هو صحافي وباحث عضو هيئة تحرير جريدة هآرتس وخبير في شؤون المخابرات، وايتان هابر هو عضو تحرير جريدة يديعوت أحرونوت ومراسلها للشؤون العسكري لمدة ٢٥ عاما، وعند انتخاب اسحق رابين رئيسا للحكومة العام ١٩٩٢ عينه مديرا لمكتبه الى أن اغتيل في العام ١٩٩٥.

س.ن

مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

تأسست مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية في عام ١٩٩١ كمركز دراسات وأبحاث يعنى بشؤون التحول الديمقراطي في فلسطين والوطن العربي. وتهدف من خلال أنشطتها المتنوعة إلى إثارة قضايا نقدية وتحليلية في الحيز العام والتعريف بالديمقراطية ومقوماتها وسبل التحول المجتمعي ومعيقاته. ولهذه الأغراض، تصدر مواطن سلسلة من المنشورات والكتب (٧) وتعقد مؤتمراً سنوياً وندوات دورية وتدعم مشاريع أبحاث متخصصة، وتصدر في المعدل ثمانية كتب كل عام يستخدم معظمها للتدريس في الجامعات الفلسطينية، إضافة إلى مكتبة متخصصة لاستخدام الباحثين وطلبة الدراسات العليا في الجامعات الفلسطينية والجمهور المهتم.

صدر عن مواطن في العام ٢٠٠٣

وقريباً سيصدر عن مواطن

جذور الرفض الفلسطيني ١٩١٨-١٩٤٨ فيصل حوراني

يوميات المقاومة شهادات حية حول أحداث مخيم جنين مواطن

ص.ب ١٨٤٥ رام الله، فلسطين، تلفون: ٦/٢٩٦٠٣٧٥، ٠٢-٢٩٥١١٠٨-٠٢-٩٧٢، فاكس: ٠٢-٢٩٦٠٢٨٥-٠٢-٩٧٢

البريد الالكتروني: E-mail: muwatin@muwatin.org الموقع الالكتروني: website: www.muwatin.org

توزع اصدارات « مواطن » من خلال مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

رام الله ـ شارع الأيام، المنطقة الصناعية، ص.ب ١٩٨٧ رام الله ، فلسطين

تلفون: ٠٢-٢٩٨٧٣٤١ / ٠٢-٢٩٨٧٣٤٤ فاكس: ٠٢-٢٩٨٧٣٤٢ بريد الكتروني: E-mail: Distribution@al-ayyam.com